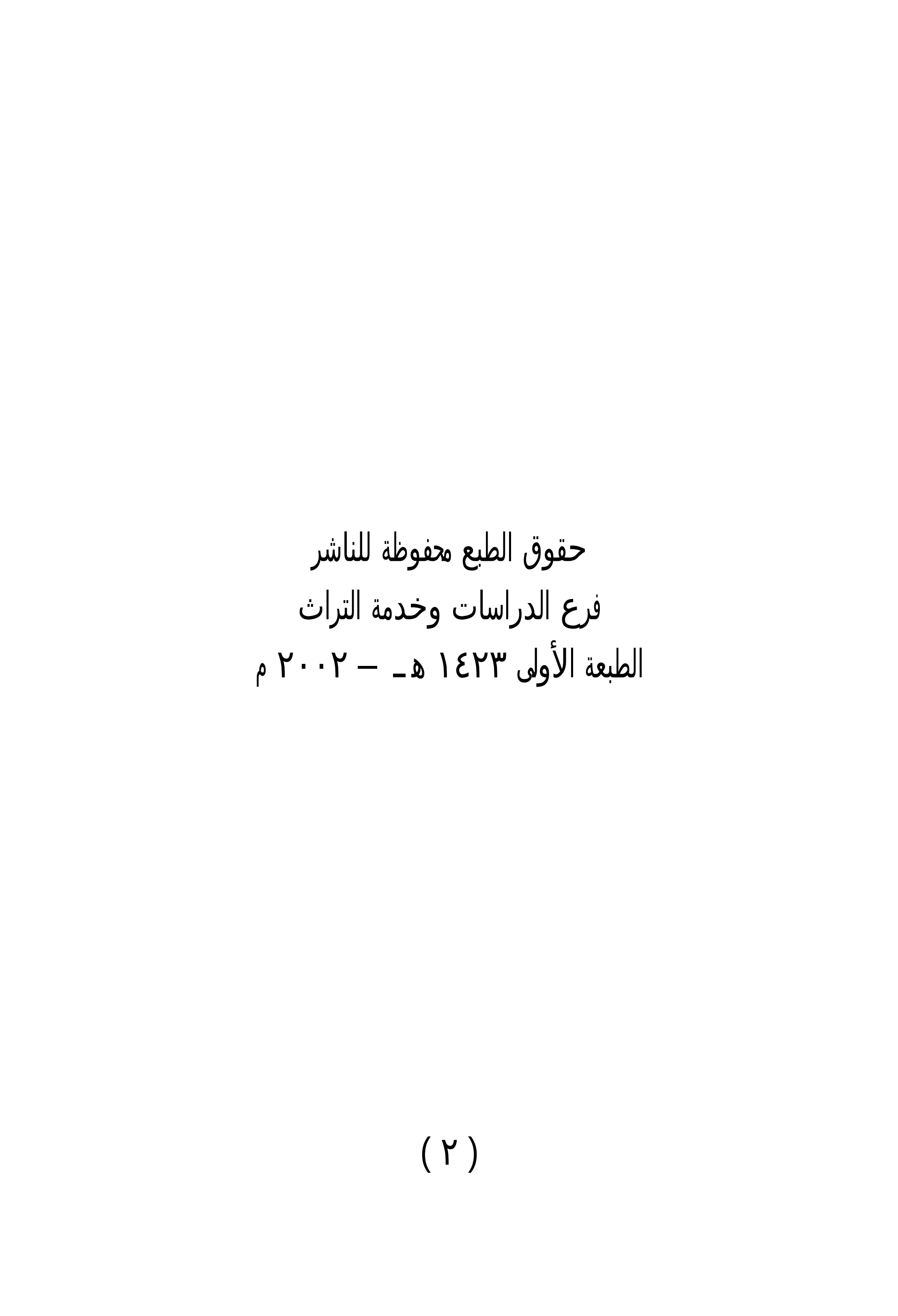
الشّيخ مَعْرُوف بَاجَمَّال



فرع الدراسات وخدمة التراث

الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

سلسلة أعلام حضرموت ١٤

الشَّيخ مَعرُوف بَاجَمَّال

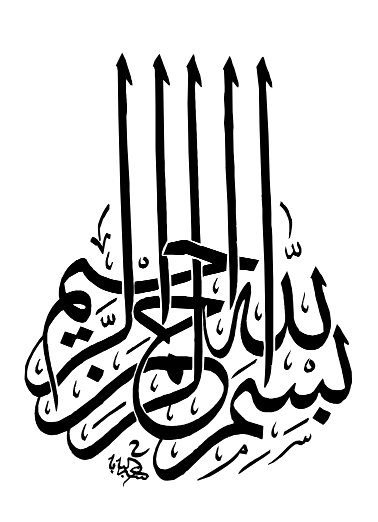
(٨٩٣ - ٩٦٩ هـ)

بقلم خادم السَّلَف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

فرع الدِّراسات وخدمة التُّراث

أربطة التَّربية الإسلاميَّة - عدن


بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني

ألاَ إِن أولِياءَ اللهِ لا خوف علَيهم
ولا هم يحزنونَ . لَهم الْبشرى فِي
الحَياةِ الدنيا وفِي الآخِرةِ

الإهداء

إلى سلالاتِ الشيخ معروف باجمال..

وإلى أتباعِ مدرسةِ السلفِ الصالح بحضرموت..

وإلى كل محب للاطلاع على سيرةِ الرجالِ الأفذاذ..

أُقَدم نمَوذَجاً من نماذجِ العلمِ والعملِ والـدعوةِ إلى اللّه..

عسى أَنْ تتضِح الصورة.. وينجلِي غَبش المراحلِ عن قلوبنا.. فنعرف الحق لأهلِه..

المؤلف

شاهد الحال

((.. واللّه إني لا أجد فرقاً بين عدو ولا صديقٍ ، بل لا أُفرق بين رجلينٍ دخلا علي أحدهما ضرب هذا الرأس بالِمعول والآخر قَبلَ هذا القَدم..))

الشيخ معروف باجمال

المقدمة

الحمد لله الذي أحيا قلوب عباده الصـالحين بـذكره وشـكره وحسن عبادته، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي فتح الله به مغاليق الحكمة فمنحها لصالحي أمته، وعلى آله وأصحابه السالكين على نهجه وسيرته وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يـوم اسـتجابة دعوته.

وبعد فهذا نموذج جديد من نماذج رجال حضرموت الصلحاء ، أضعه بين يدي القارئ بأسلوب زماننا ولسان عصـرنا ، لتقـوم الحجة على الجميع ، وليقرأ المعاصرون حياة الأوائل مجـردة مـن المسائل المعقدة والعبارات الموهمة، ولا يعني ذلك أن أسلوبنا سيكون أفضل من أساليب الماضين ، لا.. إنما نحن نلاحق عقـول الجيـل المخدوع الذي استقبح في أسـاليب الماضـين بعـض العبـارات والإشارات والكرامات ، ووجدنا أن الأسلوب وسيلة ، ولا ينبغي أن نحرم أجيالنا نصيبها من معرفة رجال الإسـلام بمجـرد عقـدة الأسلوب ، أو تشويش المغرضين ، الذين حـاكموا الكلـمات وجعلوها حجة لهم لطمس حقائق رجال القلوب.

وقد أخذنا كثيرا من مباحث هذه الترجمة من كتاب « مواهب الرب الرؤوف في ترجمة الشيخ معروف » لأحد علماء القرن الحادي عشر الشيخ العلامة محمد بن عبدالرحمن سراج جمال رحمه الله، وإنني أرجو أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وانتصاراً لعباده الصالحين ، في زمن العقوق والتنكر لأولي الطاعة والصراط المستقيم، ولا بلاغ إلا باللّه، وفوق كل ذي علم عليم.

النسبة وشرف الأسرة

هو الشيخ الكبير الشهير أبي محمد معروف بن عبداللّه بن محمد المؤذن ابن عبداللّه بن محمد بن أحمد أبي جمال نسبة إلى القبيلة المعروفة بآل باجمال بحضرموت، وهم أهل بيت علم وصلاح وسنة، وأكثرهم بتلك الجهة علماء أعلام ومشايخ كرام ، وقد سعد م أكثر أهل جهتهم ديناً ودنياً أمواتاً وأحياءً في الباطن والظاهر والزمن الأول والآخر ، وأثر عن الشيخ الولي العارف باللّه المحقق شهاب الدين بن عبدالرحمن باعلوي قوله: « إن لآل أبي جمال نسباً في سيدنا أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه من جهة بعض

نسائه» ، قال: ومن تلك النسبة كانت فيهم الخاصية بكثرة العلماء من زمن قديم إلى الآن ، وليس ذلك إلا من السر الذي وقر في صدر الصديق رضي اللّه عنه[1].

ومعلوم أن جد آل أبي جمال هو ثور بن مرتع شيخ كندة ، وكانوا ولاة «بور» فأخذها منهم « آل أبي نجار » فانتقلوا إلى شبام ، وكان لهم بكل مكان ينزلونه مآثر ومحامد وآبار وسقايات ومساجد وغير ذلك مما يعود نفعه على المسلمين[2].

وذكر صاحب « مواهب الرب الرؤوف » ص55 أيضاً قوله: ورأيت في بعض التعاليق المعتمدة أن آل أبي جمال كانوا أهل مروءة ومعاشرة حسنة وفعل معروف وورع وصيانة وعلم وعبادة وديانة ، ولم يخلُ منهم عصر إلى الآن ، وكانوا أكثر أهل حضرموت عتقاءَ ومواليَ ، وعد من عتقائهم الكثير.

ولآل أبي جمال مآثر كثيرة كما سبق ذكره ، ومن تلك المآثر الحمام المعروف بجانب مسجد الخوقة ، والمسجد المعروف بالمقدس ، وسقايته ، وصدقة راتب شبام.

---

(1) « مواهب الرب الرؤوف » ص51 .

(2) المصدر السابق .

أما في الغرفة فمن مآثرهم المسجد القبلي المسمى بمسجد الفقيه ، والبئر التي عنده ، والـمسجد الذي داخل البلاد ، وبئره ، والبئر البحرية ، وسقايته وحمامه ، والـمسجد الشرقي المسمى مسـجد باصليب ، وبئره وسقايته ، والحمام النجدي بمسـجد باجريـدان وبئره ، والسقاية البحرية عنده، والبئر البحرية العليا ، والسقاية التي بطريق المسلـمين وبئرها على نحو مـن سـهم مـن القريـة ، والـمسجد عندها وسقيفته ، والسقاية التي تحاذيها إلى الجنـوب على طريق المسلـمين إلى الوادي ، وصدقات كافية وآمنة لذلك ، وصدقة راتب الغرفة ، ولهم عدة مساجد متفرقة وعدة كتب صالحة في الفقه والتصوف موقوفة.

ميلاد الشيخ معروف ونشأته

ولد الشيخ معروف بشبام ليلة الجمعة ٢١ رمضان سـنة ٨٩٣ ، ونشأ وتربى في حجر والده على أفضل الوسائل والأحوال ، وعليه آثار السعادة لائحة والبشارات منذ صباه واضحة ، حتى إن بعض المشهورين بالولاية من صالحي بلده قال : « يا بخت مـن حضـر وقتك » .

وقال الشيخ الشواف فيه شعراً:

سعد من قد حضر وقته ومن رأى خياله
فوز من قد لـثم تربـه وقبـل نعالـه
بخت واللّه مـن عانـه بحالـه ومالـه
أوسقى أهلـه وعالـه أوسـتر عيالـه
ما ارخص المال هو والروح ذايق وصاله
وصلته أشفى من الجنه لـمن هوآلـه

وقال آخر:

ماالجمـ ـال البـ ـديع الا من اللّـه وقـع فيـك
مـن وعـادك رضـيع اللّـه بعينـه يرعيـك

في المكـــان الرفيـــع	اعطوك ماحـد يسـاميك
ماالجنـــاب المنيـــع	إلا بربعـــك وناديـــك
والعـــذاب الشـــنيع	ينـزل لـمن هو يعاديـك
سـعد مـن بـك هليـع	أيضـاً وياويـل شـانيك
حيــث كلــك منيــع	إحسان ماحـد يجازيـك

علـمه والده القرآن وحفظه في مدة يسيرة ، ثم طلع إلى الشحر في حال صباه ، والتقى هناك بالشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بالحاج بافضل ، فكان الشيخ يتفرس فيه الولاية ، ويقول: ما أعظم نورانية هذا الولد ، وتكررت زياراته إلى الشحر ، وكان من عاداته الخلوة في المساجد ليلاً و اراً صائماً قائماً طاوياً متقشفاً ، ناشـئاً على الصيانة والديانة ، لم تكن له صبوة ، وتجرد منذ صـباه عـن أشغال الدنيا جملة واحدة.

مشايخه ومعلـموه

أخذ الشيخ معروف عن جملة من الشيوخ ، فقرأ العلـم علـى السيد العلامة عمر بن عبدالله بن عمر جمال حتى أتقن ، ثم أقبـل

على السلوك بالجد والاجتهاد حتى فاق أهل عصره مـن العبـاد ، وصحب الشيخ الكبير عبدالرحمن بن عمر باهرمز الأخضر ، وكان يسير إليه كل يوم من بلدة شبام إلى هينن ويعود إلى أهله لـيلاً ، وبقي على ذلك مدة طويلة ، وظهرت علامات فتوحه ونجاحه على يد ابن أخي الشيخ باهرمز إبراهيم بن عبدالله بـاهرمز ، فـأمره بصحبته والإقامة معه في شبام فامتثل أمره ولزمه ولبس منه خرقـة التصوف ولـم يفارقه بعد ذلك ، وكان الشيخ عبدالرحمن باهرمز يحث الشيخ معروف على ملازمة الشيخ إبراهيم وينشـده بيـتين للشيخ أبي إسحاق الشيرازي:

سألت الناس عن خـل وفي　　فقالوا ما إلى هـذا سـبيلُ
تمسك إن ظَفِرت بذيلِ حر　　فإنّ الحر في الـدنيا قليـلُ

وقال له: إن إبراهيم من الأحرار عديم المماثل ، تمسك به تظفر إن شاء الله تعالى.

ومن مشايخه الشيخ أحمد بن جبير شراحيل ، وكان عظيم الحال . ذُكر أنه لـما تحرك عزم الشيخ معروف للحج وزيارة المصـطفى صلى الله عليه وسلـم - وذلك أيام سلوكه مع شيخه إبراهيم - استشاره في ذلك ، فقال: نستشير الشيخ أحمد بن جبير شراحيل ،

فلـما وصلا إليه بدأهما بقوله: قال لي الحق أُريد عبدي معروف في بلادي لصلاح عبادي ولا يسافر[١].

طريق السلوك في بدايات الشيخ معروف

منذ أن لازم الشيخ معروف شيخه الكبير إبراهيم باهرمز وهـو مجتهد في السلوك من عبادة وصيام وتلاوة وذكر وقيام وخلـوة ، حتى سمع عنه أنه قال عن نفسه: في ابتدائي خمسة عشر سنة ما نمت فيها ليلاً أو اراً ، وتمضي الأيام الكثيرة ما أطعم فيها غذاء ، وربما قرأت نصف القرآن وأنا مضطجع مغمض العين أنتظر هل يطرقها النعاس فلـم يلـم ا ، وكثيراً ما أعمل في الليلة من ليلٍ وتسبيحٍ وصلاة على الرسول صلى اللّه عليه وسلـم نحو أربعين ألف[٢].

---

(١) المصدر السابق ص٦٤ ، ويحتمل أن يكون ظهر له الأمر بواسـطة الرؤيـا ، أو لإدراكه حاجة الناس لبقاء الشيخ، وعلـمه بأن ذلك يرضي اللّه تعالى.

(٢) هذه ا اهدات أصل من أصول التربية في منهج السادة الصوفية رضي اللّه عنهم، وقد تناول الكتاب المشار إليه « مواهب الرب الرؤوف » من ص٥٩ وما بعـدها جملةً من ا اهدات المشا ة لـما ذكره الشيخ معـروف ، وأسـهب في نقـل الحكايات ، وهي برمتها تتناسب مع ذلك الواقـع التربـوي الـذي عاصـروه

أوصافه وأخلاقه

كان نفع الله به معتدل القامة ، عظيم الصورة ، صبيح الوجـه ، مدوره، ي المنظر ، أبيض اللون ، مشرباً بحمرة ، وفي عينه رطوبة وغمش ، عظيم الرأس ، كثّ اللحية ، ضخم المنكـبين ، واسـع الصدر ، عظيم البطن جسيماً لا عن كثرة أكل ، وإنما كان غذاؤه مطالعةَ الجَمال ومشاهدةَ أسرار الكمال[1] ، راجح العقل ، فصيح اللسان ، له هيبة تلوح على محياه، وشوارق جة تزهو منها الجباه.

والأسلوب الروحي الذي نشؤوا عليه .

وقد ذكر المؤلف حكاية أخرى ص٦٢ جاء فيها: وقال الشيخ الصالح الـولي ربيع بن عمر الشبوي رحمه الله: كان في بيت والد سيدي الشيخ معروف قدس الله سره ثلاثين درجة مكث الشيخ حسن عشرة سنين يقرأ كل ليلة فيها ختمة في كل درجة جزء من القرآن العظيم .

وكان في أيام صغره يرسله والده إلى شبام في الخريف من الحول إلى الحول فيأتيه به وهو صائم في الهجير ، ويتردد لذلك في يومه مرارا ، وله كل ليلة ثلاثة أرغفة، فيأخذ منها ما يقطع به الوصال ، ويدفعها إلى بعض أصحابه السالكين معه.اهـ المصدر السابق ص٥٩ .

(١) المقصود بغذائه هنا غذاء الروح لا تتغذى إلا بمحاسن الأمور ، ولـما كانـت روح الشيخ شفافة ومرتاضة منذ نشأته فلا يحتاج إلى كثير طعام ولا شـراب ، وهذه مسألة معلومة عند أصحاب الرياضات.

وكان في الجود والسخاء خِضماً زاخراً ، وغيثاً هاطلاً ، وله اليد الطولى في الزهد والورع ، والمقام الرفيع في الإيثار،قال فيه الشيخ الفقيه العارف باللّه عبدالرحمن بن محمد زين جمال:

ياسحاب الكرم مسبل علينا بالاوداق
ماطر الزهد والتقوى مع حسن الاخلاق
وارتوين القلوب الصافيه بعد لعواق
من صداها تجلت وانفتح كل مغلاق

وكان رضي اللّه عنه لا يرد سائلاً قط.. سمع مرة سائلاً وليس عنده إلا فراشه فدفعه إليه وجلس على الأرض ، وجاء آخر وليس عنده إلا ثوبه فنزعه ورماه إليه.

وفُتح عليه في بعض الأوقات بخمسين حملاً من التمر جمعه بعض الفقراء من الجهة ، فأمر بتفريقه في يومه على فقراء البلد ، ولم يبق لبيته منه شيء[1] ، وجيء له يوماً بعشرة أحمال من الطعام ففرقها من يومه.

(١) « مواهب الرب الرؤوف » ص٦٦.

وكان كثير الشفقة والملاحظة والمراعاة لمن فيه شعبة من شعب الإيمان وإن لم يكن من المتعلقين ، بل وإن كان من المعرضين.

أخبر عنه الفقيه عبدالرحمن بن عبداللّه بن شعيب قال: كنت جالساً عند سيدي الشيخ قدس اللّه سره فدعا تلميذه شراحيل وقال: إن فلاناً -وذكر رجلاً من أهل البلد- قربت وفاته ، وأنه يجب علينا رعايته لمواصلة أرحامه ، فاطْلَع إليه الآن وتداركه ليتوب قبل أن يموت ، فإنه قد وقع منه تخليطٌ ومجالسةٌ لبعض المعترضين ، فطلع إليه شراحيل ، فما أن وقع نظره عليه حتى بكى ذلك الرجل بكاءً شديداً وقال: أنا تائب إلى اللّه تعالى مما قد جرى مني ، وندم على ما مضى ، ومات من ساعته ، وعاد شراحيل في الحال وأخبر سيدي الشيخ [1].

وكان رحمه اللّه حاله الإيثار في الظاهر والباطن ومراعاة الأصحاب والزوار ، لا يقول لهم إلاّ الحق وإن كان مراً ، وكان يعاملهم بما هو الأولى والأحرى.

---

(١) المصدر السابق ص٦٨ .

وكان من كمال أخلاقه مع أصحابه أنه يتأذى بما يتأذون بـه ، ويؤلـمه ما يؤلـمهم ، ويخفف عنهم ما قد يجدونه من ظلـم أو أذى من البداوات أو جهلاء النـاس بلطفـه وإحسـانه ودعائـه ومواساته.

كما كان كثير العفو والصفح والاحتمال لـمن اعترض أو أساء، ويقابلهم بحسن التصرف والدعاء والاعتناء ، ويؤثر عنه قوله: واللّه إني لا أجد فرقاً بين عدو ولا صديق ، بل لا أفرق بين رجلين دخلا علي أحدهما ضرب هذا الرأس بالـمعول -وأشـار إلى رأسـه- والآخر قَبلَ هذا القدم ، وضرب بيده على قدمه.

وهذا من كمال مقام الرضا بعد موت النفس ، بحيث يشهد العبد مولاه في كل شيء ، فلا يحصل عنده انفعال بمدح ولا ذم ، وإنمـا يكِل الأمر لصاحب الأمر ، ويرضى بالحال الذي يبرزه له على أي وجه كان.

ويؤثر عنه أيضاً في مجال العفو والصفح قوله: إن شفقتنا وشفاعتنا للذي حصل منهم الأذى أعظم من غيرهم.

قال المؤلف: قال بعض الحاضرين: فقلت في خاطري: ما لَه؟ أي: ما لهذا الشيخ إلا من يؤذيه؟ قال: فما أتممت الخـاطر إلا وقـال الشيخ: إ ا قد تكون غِيرةً من الحق على من آذى عباده فتحصـل العقوبة من غير طلب منهم.

وكان رضي اللّه عنه حسن الظن بمن حوته دائرة الإسلام ، فكان يقول: ما جلس مسلـم بين يدي إلا توسلت به إلى اللّـه تعـالى وبالسر الذي وضع فيه في قضاء حوائجي وحوائج المسلـمين ، حتى في الجارية -أي: الأمة- حاملةِ القِربة ، أي: سِقاء الماء ، و ذا مدحه بعضهم فقال:

ومكارم الأخلاق فيـه جميعهـا تمت وأمست في يديـه قيادهـا
عِلْـم لَدني عِلْـمه وصـفاته نبويـةٌ واللّـه فيـه أرادهـا
نور الولايـة والعنايـة ظـاهر فيه ولكـن الحوائـل عادهـا
حالت على من لا بصيرته تـرى والشمس من هو أكمه ما هادها[1]

---

(١) « مواهب الرب الرؤوف » ص٧٤ .

وكان شفافي الذوق كثير التواجد والحركة من كل ناطق ومسموع[1] ، ثم تمكن في أخريات حياته ، وعند اكتمال مقامه ، ونزلت عليه السكينة والوقار ، وأعطي من التمكين والرسوخ ما لم يعط غيره ، وكان رضي اللّٰه عنه معظماً لحرمات الدين مفخماً لشعائر الشريعة المحمدية محيطاً بظاهرها وخافيها جامعاً لحقائقها .

قال عنه مؤلف « مواهب الرب الرؤوف »: سمعت والدي يقول: سمعت الشيخ يقول: من أراد أن يسألني عن شيء في المذاهب الأربعة فليسأل[2] .

كما كان متأدباً مع الأولياء الأكابر ، ويحمل ما جرى على ألسنتهم من شطح وعبارات بكمال الأدب ، حتى أُثر عنه قوله: وعزة المعبود ما تلجلج لي في خاطري -أي: ما تشوش لي خاطر أو جرى من انتقاد- فيما وقع للشيخ إسماعيل المغربي والشيخ ابن عربي

(١) التواجد: ظهور أثر المسموع والمرئي من أسباب الاعتبار أو آثار الذوق من القصائد الصوفية ، أو التأثر بسماع الآيات ، أو الفأل الحسن ، أو غير ذلك.

(٢) المصدر السابق ص٧٥ .

وطائفته ، بل أتبرك بآثار كل منهم ، ونقبل ما قالوه على الـرأس والعين ، ونكل ما فيه إشكال إلى اللّٰه تعالى.

وكان يقول: ما فتح علينا بشيء -أي: من أمر الدنيا- إلا توقفت فيه حتى يظهر لي وجه حِله ، ويفتح الحق في ذلك[1] .

وكان يقول ويقسِم: ما أُصيب مؤمن بمصيبة إلا كأني المصاب ، ولا أوذي أحد بضرب أو غيره حتى الكلب فما دونه إلا وآلـمني، ووجدت له حِساً في جسدي [2] .

ثناء شيوخ العصر على الشيخ معروف

قال الشيخ الفقيه محمد بن عمر جمال في كتابه « الكفاية الوفية في إيضاح بعض كلـمات الصوفية »[3]:

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ص٧٦ .

(٣) للصوفية رضي اللّٰه عنهم بعض الكلـمات والعبارات التي تعني بالنسبة لهم مغزى ومعنى يريدونه ؛ ولكن ظاهر اللفظة أو العبارة قد يكون فيه إشـكال بالنسـبة للسامع الجاهل بمصطلحهم الذوقي .

واعلم أن مولانا وشيخنا العارف بالله الراسخ أبامحمد معروف بن عبدالله مؤذن جمال نفع الله به قد فاق أهل عصره وقطره ، وانتهت إليه الشهرة بالمعرفة والزهد والتمكين ، وتفرد بحاله ورتبته ، ولم يشاركه فيها أحد(١) .

وكان ذات ليلة يدعو ذا الدعاء طول ليلته حتى طلع الفجر : اللّهم تمم بإحسانك على معروف في الدارين ، وارزقه الكمال مع السلامة فيهما إذ لا وسيلة له إليك إلا إحسانك، ولا أرحم به منك، يا كثير الخير يا دائم المعروف(٢) .

وقد أشكلت بعض كلمات الصوفية على العلماء في الماضي كما أشكلت في الحاضر ، واختلف الموقف بالنسبة لإصدار الأحكام على الألفاظ وقائليها ، فالأوائل كانوا لا يتعرضون لشيء من الانتقاد ، ويحملون العبارة على مراد القائل بما يفهمه من معان ترد على خاطره أثناء قوله ، ويكلون أمره إلى اللّه.

أما المتأخرون فقد حاكم بعضهم العبارات وأصحا ا وكفروهم بما نقل عنهم وأخرجوهم من دائرة التوحيد والعياذ باللّه ، وقد استوفينا الكلام على هذا الموضوع في كتابنا « شروط الاتصاف لمن يقرأ كتب الأسلاف » فليراجع.

(١) المصدر السابق ص٧٧.

(٢) المصدر السابق ص٨٧ ، هو الشيخ سعيد الشواف صاحب « قصعة العسل » ، قال في « مواهب الرب الرؤوف » : ولسعيد المذكور وسيلةٌ عظيمةٌ نحو مجلد

وكان الشيخ أحمد بن سهل يقول: نشهد أن الشـيخ معـروف أفضل وأكبر من مشايخ الرسالة ، أي : « الرسـالة القشـيرية » ، ومثل هذا القول -وإن كان يشير إلى مبالغة القائل في شـيخه- إلاّ أن له وجهاً يبدي صحة مقولته، فالشيوخ يقولون: إن المقصود بهذا اللفظ المعاصرة ، فالشيخ معروف في عين أهل عصره الذين نـالوا بواسطته القرب من اللّه أفضل من أولئك الذين قد توقف نفعهـم على أهل أزمانهم ، فالأفضلية هنا لا تعني الشمول ، وإنمـا تعـني العصر ، كما هو في قول المفسرين في الآية عن بني إسرائيل: ﴿وأني فضلتكم على العالـمين﴾ ، « فالعالـمين » على الـرأي الـذي ذكرناه يقتصر على عالـمي أزمنتهم وعصورهم ، وهكذا في كل عبارة يظهر منها المبالغة في وصف الشيوخ على ألسنة معاصريهم.

وفي هذا المضمار امتدح الشيخ الشواف صاحب « قصعة العسل » الشيخ معروف بقصيدة حمينية في نحو من مئة بيت قال فيها :

يتوسل فيها إلى اللّه تعالى بالأولياء العارفين المعروفين والـمجهولين من العـرب والعجم ، ولـم يذكر فيها من أهل الوقت إلا سيدي الشيخ معروف ، والسـيد عبداللّه ابن الفقيه المجذوب علوي ، وقال: إنما ذكرهما لأن همتهما سمت عن التأثر بالـمدح والذم. اهـ ص٨١.

مثل ذا الشيخ معروف المعارف تـنالـه
والنـهايات للسـادة بـدايـة لحالـه
محيي الديـن لأهـل الدين ظاهر بحالـه
الاسم الاعظم في اسمه مندرج في كمالـه
معـدن الصدق بحر النور كلـه جلالـه
مجـمع الكـلّ روح الكل للكـل آلـه
نافـذ الكشف والتصريف في كل حـاله
فاخـر الحـال بالاسلام جـم احتفالـه
قـط ماطيب في الدنيا كما طيب حالـه
زين الخلائق لأهل العلـم واهـل الجهالـه
شيخ لاهل التصوف ليـت روحي فِدالـه
نائـب اهـل الولايـه وأهـل الرسالـه(١)

وكان السيد الولي الشهير الشيخ شهاب الـدين بـن الشـيخ عبدالرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر علوي نفع اللّه بـه يقـول: الشيخ معروف أمةٌ وحده وآية من آيات اللّه ، لو أدركه المشـايخ

(١) يستقيم البيت بزيادة: « نائب اهل الولايه نائب اهل الرساله » . المصدر السـابق ص٨٠.

لاعترفوا بتقديمه وسبقه ، وكان يقول أيضاً: الشيخ معروف معروف في السماء ومعروف في الأرض.

ظهور الشيخ معروف في منبر الدعوة والنفع

كتب صاحب « مواهب الرب الرؤوف »: إن الشيخ الكبير إبراهيم بن عبدالله باهرمز شيخ الشيخ معروف أَذِنَ له في سنة ٩٢٨ بالتصدر والجلوس لدعوة الخلق إلى الله ، وأطلق عليه مسمى الشيخ[١] ، وكان ذلك في مسجد الخوقة بشبام ، وفقراؤه مجتمعون لراتبهم المعتاد في السابع عشر من رمضان ، وسِنه إذ ذاك خمسة

---

(١) استطرد المؤلف في النقل عن مسمى الشيخ ومعناه عند الصوفية ، ونقل العديد من التعاريف المفيدة ، منها قوله: قال الشيخ محمد بن عراق في كتابه «الوصية»: الشيخ في الشريعة: من أدبك بظاهر كتاب الله وهذبك بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ورباك بأخلاقه المرضية ، وقمع نفسك الأمارة بالسوء من مألوفاتها.

والشيخ في الطريقة: من هذبك بباطن كتاب الله والسنة المحمدية، وعرفك أوصاف النفس اللوامة ، وأوصلك إلى النفس المطمئنة المرضية ، وخلصك من البرية ، وألزمك تعظيم الأحدية.

والشيخ في الحقيقة: من نفى من أعمالك ما هو أعلى لك ، وعن أفعالك ما هو أمضى لك ، وجمع من أحوالك ما هو أفوز لك.

وثلاثون سنة ، فامتثل الشيخ معروف ما أمره به شيخه ، وظهـر على منبر الدعوة ، ووعظ أول ليلة وذكر إلى أن بقي مـن الليـل ربعه. اهـ. قال المؤلف: فأتى الشيخ معروف بما يبـهر العقـول واعترف بفضله الفحول .

وكان الفقيه الكبير عثمان بن محمد العمودي يقول: نجِـس في قلوبنا صفاءً وفرحاً من حيث ظهر الشـيخ معـروف للخلـق ، ووجدت في هذه الجهة نفحةً من نفحات الرحمن عطّرت القلوب ، وهذا من آثار القطب[1] .

وقال الشيخ الفقيه علي بن علي بايزيد: لـمـا ظهـر الشـيخ معروف لدعوة الخلق إلى اللّه تعالى رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلـم جالساً وعن يمينه ويساره أبوبكر وعمر رضي اللّه عنهما ، والشيخ معروف جالس بين يديه ، والرسول صـلى اللّـه عليـه وسلـم يثني عليه ثناءً جميلاً ، ويطنـب في صـحبته ومدحـه ، والصديق رضي اللّه عنه ينشد هذا البيت:

لكل زمانٍ واحد يقتـدى بـه　　وهذا زمانٌ أنت لا شك واحِده

---

(١) المصدر السابق ص١٩٠ .

ويشير بأصبعه السبابة إلى الشيخ معروف ، فتأكد اعتقادي لـه ومحبته[1].

كتب مؤلف « مواهب الرب الرؤوف » ص ١٠٩ : ثـم إن سيدي الشيخ معروف رضي اللّه عنه ونفع به قام يدعو الخلـق إلى اللّه أتم قيام ، و ض بما لـم ينهض به غيره من السادة الكـرام ، فأجاد وأجاد ، وبنى معاقل الدين ، وشاد وأحيا ما أسسه الرسول عليه الصلاة والسلام ، وواظب على إطعام الطعام وصلة الأرحـام والإحسان إلى الفقراء والأرامل والأيتام ، وشاع ذكره في الآفاق ، وارتحل إليه العلـماء والـمشايخ ، وقصـده أكـابر الرؤسـاء والحكماء ، وتجاذبت إليه المطي ، وعمت دعوته المحسن والـمسي، وقصده الخلق من كل مكان ، وتتلـمذ له خلق كثير، وكان يجتمع عنده لسماع مذاكرته من العلـماء والـمشايخ والـمريدين مـا يزيد على الألف ، وأحيا اللّه به الدين، وهدى به المسلـمين ، وعمر به البلاد وقمع به الطغيان والعناد ، وأصلح به ما ظهر ومـا بطن من الفساد، واستطارت في الآفاق برقّته، واسـتطالت علـى المسلـمين خرقته ، ولبسها من أهل اليمن والشـام والسـواحل

---

(١) بقية الحكاية في ترجمة بايزيد أحد مريدي الشيخ عند الكلام على التلامذة.

وجازان و امة وصعدة والأراضي القاصبة جمع كثير ، وانتمى إليه خلائق من الفضلاء والأعيان من السادة الأشراف آل أبي علـوي وآل جمال وآل أبي هرمز وآل أبي رجاء وآل أبي كثير وآل أبي قشير وآل أبي فضل وآل أبي شراحيل وآل الفقيه ابن مزروع وغيرهم.

وكان يجمع مريديه وتلامذته في مسجد الخوقة إلى سنة ٩٣٢ ، ثم أمر شيخه بعمارة مسجد المقدسي ، وهو إذ ذاك خراب تجتمع فيه البهائم ، وكان قد بِني قديماً سنة ٦٣٦ وخرب ولـم يبق له أثر ، فعمره سيدي الشيخ معروف عمارة تامة ، وبنى عنـده سـقاية ، فوقف بعض فقرائه عليها صدقة جارية ، وجلس الشيخ يـدعو إلى اللّه في هذا المسجد ، وقام الشيخ المريد الصالح عمر بن محمد باذيب وأخوه المحب المخلص أبوبكر ووقفا المكان المعروف « بـالزاهر » على جابية مسجد المقدسي ، وجعلا النظر للشيخ ثم لـمن انتمى إليه بقرب أو صحبة، ثم بنى فيه غرفة ، ثم وسع الشيخ تلك الغرفة وجعلها دارا كبيرة أقام ا مدة طويلة.

وكان كلامه ومذاكراته مما يقتضيه أحوال سامعيه لا على حكم حاله ومقامه وعلـمه وذوقه ، وكان في حال مذكراته كـالبحر الزاخر ؛ لكن لا يحفظ أحد من كلامه إلا اليسير كما قال الشاعر:

فحفِظْنا اليسـير مـا سمعنـا   ونسينا الكثير مـا حفظنـا

نبذة عن تلاميذ الشيخ معروف ومريديه

كتب مؤلف « مواهب الرب الرؤوف » ص١١٠-١١١ : وكان عنده من أهل السلوك والاجتماع والتعاون من خواص المريـدين اللذين لا يخرجون عن أمره و يه نحو مئة مريد قد خرجوا عن جميع محبوبا م ومألوفا م من أهل ومال وولد.

وكان ترتيب الشيخ معروف في تقسيم تلامذته على ثلاثة أقسام:

الدرجة الأولى من المريدين وظيفتهم العلـم باللّه وكتب الحقائق ومشاهدة الجمال الأسنى والسكر بمحبة المولى والتعـرف بأسمائـه الحسنى وصفاته العليا ، والجلوس على بساط الأنس حتى صـاروا مطالع الأنوار وخزائن الأسرار ونشرت لهم أعلام الولاية.

الدرجة الثانية من المريدين وظيفتهم نشر العلوم الشرعية قـراءةً وإقراءً وتحصيل كتبها ، مع مطالعة كتب الرقائق وسماع مذاكرات الشيخ أحيانا.

الدرجة الثالثة من المريدين -وهي درجة عامتـهم- وظيفتـهم الاعتناء بما يخص أمر دينهم ودنياهم من العبادات والـ ـمعاملات «كبداية الهداية» و«مختصر الفقيه عبدالله بلحاج» و«كنـز المتسبب النقي المتورع» للفقيه محمد بن عمر جمال.

وكان لهؤلاء جميعاً بيت يأوون إليه ، ومعظم أوقا م يعتكفون في مسجدهم لا يخرجون إلا لنفقة أو حاجة ، وكان لبعضهم مجاهدات بالصيام الأيام المتواصلة.

وكان لهم ولعامة الفقراء مجلس كل ليلة بعد صـلاة العصـر إلى غروب الشمس ، لا يتخلف منهم واحد ، وقد رتب لكل واحـد منهم وظيفة بحسب حاله [1] .

قلت: وقد احتوى كتاب « مواهب الرب الرؤوف » على جملـة من تلاميذ ومريدي الشيخ لـم يترجم لهم في الغالب ، وإنما ذكروا أثناء كلام للـمؤلف ينقله عنهم أو خبر يرد إليه منهم ، ومنـهم الشيخ الفقيه علي بن علي بايزيد ، والشيخ حسين بـن عبداللّـه

(١) المصدر السابق ص١١٤ – ١١٥ .

فضل، والشيخ أبي بكر بن سالـم باعلوي[1] ، والشيخ عمر بـن محمد باذيب[2] وأخوه أبوبكر ، والشيخ محمد بن عمر باجمـال ، والشيخ عبدالله بن محمد باحنين[3] ، والشيخ سالـم بن محمـود الجازاني[4]، والشيخ علي الهيني الصعدي[5]، والشيخ عمر بن محمد جمال ، والشيخ محمد بن أحمد شـعيب ، والشـيخ أحمـد بـن عبدالرحمن معدان ، والـمحب أحمد مصفر ، وحيدرة بن عمر ، ومحمد باخليل ، ومحمد قعيطي ، وامبارك بن زياد ، وأحمد بن عمر بازياد ، وأحمد باشويه العمودي ، والشيخ العارف بالله الخطيـب

(١) ذكر صاحب « مواهب الرب الرؤوف » ص٩٧ قوله: وسمعت سيدي الشـيخ القطب فخر الوجود أبابكر بن سالـم باعلوي نفع الله به آمين يقول: ما زرت سيدنا الشيخ معروف نفع الله به إلا بعد أن أمرني رسول الله صلى اللّـه عليـه وسلـم . اهـ. ترجم للشيخ أبي بكر بن سالـم في «مواهب الرب الرؤوف» ترجمة مستقلة ص٢٥٤.

(٢) ورد ذكره ص١٥٩ يروي حكاية عن الشيخ وكراماته.

(٣) له قصيدة في مدح الإمام معروف ص١١٩.

(٤) له قصيدة في الشيخ ص١٣٦ من « مواهب الرب الرؤوف » ، وقد قدم لزيـارة الشيخ ولبس منه الخرقة وأقام مدة طويلة . انظر ص١٥٢ من المصدر السابق.

(٥) للشيخ علي المذكور قصيدة في مدح الشيخ ، المصدر السابق ص١٤٣ .

عمر بن عبدالرحمن بارجاء[1] ، والشيخ سعد بن عبدالله بارجاء[2]، وعبدالرحمن بن أحمد شعيب ، والشيخ محمد بن أحمد بن سالم جمال ، والشيخ محمد بن عبدالله بحرق ، والشيخ محفوظ بن عمر عباد ، والشيخ أبوبكر بن محمد بصعب الهجراني ، والشيخ محمد بن علي بن عمر ، والشيخ علي بن عمر بن جعفر، والشيخ فضل بن إبراهيم فضل ، والشيخ حسين ابن الفقيه عبدالله بلحاج ، والمحب ربيع الشبوتي ، والشيخ أحمد بن سهل ، والفقيه الصالح فضل بن عمر الهجراني.

نموذج من ترتيبات وظائف المريدين في السلوك

كتب مؤلف « مواهب الرب الرؤوف » ص ١١٥-١١٦: ومن أوامره رضي الله عنه ما رأيته بخط السيد الفقيه محمد بن عمر جمال

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بارجا عمل لضريح الشيخ معروف تابوتاً وسارية ، ذكره «مواهب الرب الرؤوف» ص٢٥٠ .

(٢) الشيخ سعد بارجا له قصيدةٌ قالها في شوقه إلى الشيخ معروف. المصدر السابق ص٢٥٠ .

رحمه اللّه تعالى وصورته: هذا ما حضرني ذكره مما أمر به سـيدي الشيخ معروف بن عبداللّه جمال فقراءه ومريديه:

١- أمرهم بلزوم كل أمر ، وترك كل ي ، في الحضر والسـفر والخلوة والاجتماع.

٢- التوبة في كل وقت ، وأن يجعل كل واحد لنفسه ساعة بالليل وساعة بالنهار يحاسب نفسه فيها ، ويعد حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله ونياته وهممه ، فإن رأى تقصيراً أو نية غير صالحة تـدارك بصدق وإقلاع.

٣- أن لا يلتقي اثنان إلا ويتصافحان ويصليان على النبي صـلى اللّه عليه وآله وسلـم.

٤- أن يردوا السلام على من لقوا من المسلـمين ، ويصلوا على جنائزهم ويشيعو ا حتى تدفن ، ثم يقرأوا الفاتحة وآيـة الكرسـي وسورة يس ٤١ مرة وألـم نشرح أربعا وسورة القدر سبعا ، وإذا جاء نصر اللّه أربعا وألهاكم التكاثر مرة والكـافرون أربعـا وإذا زلزلت مرتين والإخلاص والـمعوذتين ثلاثا ثلاثـا وأول البقـرة وآخرها ، ويهبون ثواب ذلك للـميت ، ولكل من مـات مـن المسلـمين . وإن كانت الجنازة لأحد من الفقراء بادروا بتجهيـزه

وحضروا غسله إلى وقته ، ويزيد في القراءة سـورة البقـرة وآل عمران ويخرجون اليوم الثاني والثالث كذلك ، ثم يقرؤون الإخلاص إحدى عشر مرة لعامة أهل المقبرة.

٥- دوام الطهارة ، وأن لا يكون لهم خلطة مع غير الفقراء.

٦- أن لا يتكلفوا الكساء ، وأن يلبس كل واحد منهم قلنسـوة وعمامة يخرج لها عذَبة من جهة منكبه الأيسر إلى نحـو القلـب ، ويجعل طولها ثلاث لفات.

٧- يصلون صلاة التسبيح وهيئتها مشهورة.

٨- يقومون آخر الليل على نحو ستة أجزاء ، ويصـلون الـوتر إحدى عشر ركعة ، وإذا طلع الفجر صلوا ركعتين وأتوا بالـدعاء المشهور ، ثم الفريضة ثم الأذكار المـأثورة بعـدها ، ثم حـزب الأسبوع، ثم ركعتي الإشراق ، ثم دعاء الصباح على ما رتبه لهم من الأذكار والدعوات المأثورة ، ثم العقيدة وأكثرها عقيـدة الشـيخ الشريف علي بن أبي بكر علوي ، ثم مدرس في الفقه ، ثم يخرجون إلى بيت سيدي الشيخ ويأتون فيه بمئتين مرة من الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم ، ثم ثلاثين مرة تحت دار شيخه الشيخ إبراهم ، ثم يعودون إلى المسجد لصلاة الضـحى ، ثم يتفرغـون

لوظائف المطالعة أو القراءة أو النساخة أو من له أوراد يلزمها ، حتى صلاة الظهر جماعة ، ثم مدرس في « الإحياء » ، ثم مئة من « حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

ثم بعد صلاة العصر يخرجون إلى بيت الشيخ ويأتون بخمس مئـة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلـم وقت انتظـارهم لظهوره ، فإذا خرج إليهم تفقد أحوالهم وذاكرهم إلى نحو غروب الشمس ، ثم أتوا المسجد وصلوا المغرب وسنته ثم صـلوا الناشـئة «صلاة الأوابين» ، ثم العشاء وراتبهم المعهود.

وفي ليلة الاثنين والخميس ما تيسر من الذكر والنشيد وشيء مـن أقوال المشايخ نفع الله م.

أنموذج من وصاياه

واعلـموا وفقكم الله أن حسن الظن وصحبة العارفين ومحبتـهم مقام عظيم لا يقع إلا لـمن خص به ، ولا يحصل سلوك ولا تعب أو مشقة في العبادة ، وهو مقام مفرد ، وأهله أهل سلامة الصدور ، وفائدة صحبة المشايخ التخلق بـأخلاقهم والتمسـك بسـير م

وصفا م، بشرط الإيثار وحسن الأخلاق والصبر وعدم المكافـأة ، وترك العوائد ومخالفة الطبع والنفس ، وترك الجدل والتجسـس ، واصطلام القلب بترك ما سوى اللّه مع الذل والـ ـمحو والكـرم والسخاء والإنفاق والسماحة والرجوع إلى اللّه تعـالى ، والرضـا والشكر وترك الكبر والظنون والحظوظ النفسانية ، وذبح النفس ، والتخلق بالأخلاق المحمدية ، والتلذذ بما جاء به القرآن ، ورؤيـة الذهب والفضة والـمدر سواء ، ورؤية الأذى من الأعداء الـذي يقع فيه فقراء الدنيا، والرد إلى القضاء والقدر من الحول والقوة في كل خير وشر .

هذا الذي نطلبه من الأصحاب ، فمن وجد ذلك فقد صلح أرضه ووجب له الغيث والدخول به على الملك ، وهذا شـأن عظـيم ، والصحبة ليست بكثرة ا يء والـمراح مع التوسخ بالآثـام ، ولا تظنوا أن الإثم المعاصي الظاهرة كالقتل والزنا فقط ، بل منها الكبر والحسد والعجب واتباع النفس والأهواء ومخالطة الأضداد ، فمـن صحبهم لشيء من هذه الصفات عاقبه اللّه وابتلاه ، ومن أقبل فهو لنا ، ومن أدبر نحن معه ، وامتثلوا أمر اللّه و يه ، ولازموا تقواه ، واطلبوا الإعانة منا على ما أوضحه رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله

وسلـم ، ومن أعطى الهمة فينا نعطيه ما أراد ، والشيخ النافع من يذكرك عيوبك وينفعك في الآخرة ، وصحبة المـداح خيانـة في الدين، وقد بسطنا الشبكة لأهل لا إله إلا اللّه ، فمن حوته طويناه، ولا نفتشه ، ويتولاه مولاه.

وما أشار العارفون إلا إلى التعلق م ، ولا تنفع نفاعة الصحبة إلا في الآخرة حتى إ م يستعظمون ما يرون من النعيم ، ويقولون: ما عملنا ما نستحق به ذلك ، فيقول الحق: إن هذا مِن قبل تعـرفهم بصاحب وقتهم ، فيقع الحمد والشكر ، وفي الحديث عنه صلى اللّه عليه وآله وسلـم: «الـمتحابون على منابر من نـور يغـبطهم النبيون والشهداء ، فمن نور اللّه قلبـه ورزقـه التوفيـق وأقبـل بالـمحو والانحطاط ظفر بنا وظفرناه ، وأوصلته النظرةُ إلى أرفـع المراتب وأعظم الأحوال والـمقامات ، فنعم الشفعاء نحن لو أقبل الخلق إلينا[1] .

---

(١) المصدر السابق ص١٤١ – ١٤٣ .

سند الخرقة عند الشيخ معروف

قال السيد الفقيه التلـميذ الأكبر محمد بن عمر جمال رحمه اللّـه ونفع به: فاعلـم أن المشايخ الذين أحيا اللّه م الـدين في جهـة حضرموت أربعة، ولنذكر سند خرقتهم:

الأول: سند خرقة سيدنا وشيخنا شيخ شيوخ العارفين الشـيخ المربي القطب أبي محمد معروف بن عبداللّه جمال مؤذن الشـبامي ، ذكرته أولا لأنه شيخي ومولاي ، والعبد يزهـو بهـولاه ، وقـد لبسناها بحمد اللّه من يده الكريمة وظهرت علينا بركاته الجسيمة ، وشيخنا صحب وتربى وأخذ علوم طائفة الصوفية من شيخه الشيخ إبراهيم بن عبداللّه هرمز ، وهو أخذها عن عمه عبدالرحمن ، وهو أخذها عن أبي الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين العثماني ، وهـو أخذها عن إسماعيل بن ابراهيم بن عبد الصمد الهـاشمي الجـبرتي ، وهو أخذها عن الشيخ أبي بكر بن محمد الصوفي ، وهو أخذها عن الشيخ أحمد بن محمد بن عبداللّه بن يوسف الأسدي ، وهو أخذها عن الشيخ أبي بكر بن محمد بن علي بن نعيم ، وهو أخذها عن أبي أحمد محمد بن أحمد بن عبداللّه الأسدي ، وهو أخذها عن الشـيخ

الصامت عبدالله بن يوسف بن زربه ، وهو أخذها عن الشيخ أبي محمد عبدالله بن علي بن حسين الأسدي ، وهو أخذها عن الشيخ القطب محيي الدين عبدالقادر الجيلاني الحسيني ، وهو أخذها عن الشيخ أبي سعيد المبارك بن علي المخزومي ، وهو أخذها عن الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري، وهو أخذها عن أبي الفرج محمد بن عبدالله الطرطوسي ، وهو أخذها عن أبي الفضل عبدالواحد بن عبد العزيز التميمي ، وهو أخذها عن الأستاذ أبي بكر الشبلي ، وهو أخذها عن سيد الطائفة الجنيد البغدادي ، وهو أخذها عن السري السقَطي ، وهو أخذها عن معروف الكرخي ، وهو أخذها من طريقين: الأولى عن سليمان الطائي ، وهو عن أبي محمد حبيب العجمي ، وهو عن الحسن بن الحسن البصري ، وهو عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

والثانية عن علي بن موسى وداود الطائي ، وعلي بن موسى عن والده موسى الكاظم ، وهو عن جعفر الصادق ، وهو عن علي زين العابدين ، وهو عن الحسين بن علي ، وهو عن أبيه علي بن أبي طالب.. إلخ.

الثاني: سند خرقة الشيخ الكبير محمد بن علي علـوي « الفقيـه المقدم » نفع اللّه به آمين ، ونسبت إلى آل باعلوي في الخرقة إليه.

الثالث: سند خرقة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ، أخذها عن الشيخ عبداللّه بن علي المغربي ، وهو من الشيخ عبدالرحمن المقعد ، وهو من الشيخ أبي مدين ، وهو من الشيخ عبدالقادر الجيلاني نفع اللّه م.

الرابع: سند خرقة الشيخ عبداللّه عباد نفع اللّه م ، لبسها مـن الشيخ أحمد بن أبي الجعد ، وهو من الفقيه سالـم ، وهـو مـن الشيخ علي الأهدل، وهو من الحداد ، وهو من الشيخ عبـدالقادر الجيلاني. اهـ . ولـم يشتهر بحضرموت سـوى هـذه الخـرق الأربع[1] .

---

(١) المصدر السابق ص١٤٩ .

ما تعرض له الشيخ معروف من إيذاء وصبره عليه

كان رضي اللّه عنه مقيما في مدينة شبام ، و ا نشر الطريقة ودعا إلى مولاه على صفة التجريد ، لا يطلب علـى ذاـك جـزاءً ولا شكوراً ؛ ولكن الأذى لحقه من الناس ، فخرج من شـبام ثـلاث مرات.

كتب مؤلف « المواهب » ص١٥٥: خرج رضي اللّه عنـه ثـلاث مرات ، وفيها من الإيذاء ما حقق له التأسي بنبيه محمد صلى اللّـه عليه وآله وسلـم.

وكان خروجه الأول إلى « السول » وهي قرية بالكسر على نحو مرحلة من شبام ، وذلك سنة ٩٤٥ .

ثم خرج إلى قرية « عندل » بالكسر بنفس العام وعاد منـها إلى شبام بعد سنة.

ثم خرج ثالثا إلى قرية تسمى « بغلة » وهـو مخرجـه الأخـير ، و«بغله» قرية بدوعن على نحو ثلاث مراحل من شبام ، وكان ذلك آخر شعبان سنة ٩٥٩ .

وكان يقول قبل خروجه: أقامني الحق للانتقام من جميع الخلق في هذه الحياة للسلامة في دار الآخرة ، وأول ما انتقمت من رأسي هذا، وأوتيت الجاه كله فطويته كطي البساط حتى لم يبق منه إلا شيء يسير ، فنوديت: أُترك هذا فتركته ، ولابد ما توصل الخلق إلى اللّه ، منهم من هو بالبر والإحسان ، ومنهم بسلاسل الامتحان.

قال مؤلف « مواهب الرب الرؤوف » ص ١٥٧ : وكان سيدي الشيخ قدس اللّه سره كثيرا ما يذكر خروجه الأخير قبل وقوعه بمدة طويلة ، وذلك لما قد أخبره به شيخه عبدالرحمن باهرمز رحمه اللّه تعالى كما أخبرني جمع كثير عن الفقيه العارف باللّه عمر بن عبداللّه بن أحمد مخرمة رحمه اللّه، قال: لما قربت وفاة سيدي الشيخ عبدالرحمن بن عمر باهرمز نفع اللّه به أرسل إلى الشيخ معروف بن عبداللّه مؤذن جمال في أيام سلوكه على الشيخ إبراهيم بن عبداللّه هرمز بشبام قبل ظهوره بالمشيخة ، فلما جاء وجلس بين يديه قال له الشيخ عبدالرحمن: نقول لك شيئاً وتقبل؟ فقال الشيخ معروف: قل ما شئت ، فقال الشيخ عبدالرحمن: نريد نحملك أو السلطان بدر تقوم به وتجعله في عنقك

وهو مسلط عليك ، فقال الشيخ معروف: كان ذلك ، فقال الشيخ عبدالرحمن: وإن أخرجك من بلادك؟ قال: نعم.

ولما أُخرج الشيخ معروف للمرة الثالثة انزعج بعض فقرائه ، فذاكرهم وقال: واعلموا أن الدنيا محل الهموم والأكدار، فلا يتأثر بما وقع فيها إلا سخيف العقل ضعيف اليقين ، ولا ينكره إلا من ليس له علم ، والشكوى من أهلها شكوى من اللّه ، ومن رأى الفاعل هو اللّه تعالى وأن البلوى توصل صاحبها إلى أفضل ما عند اللّه رضِي ا ورضي عمن باشرها، ومن أساء صحبة الرجال خيم على ما فيه.

كنت يوما جالساً عند بعض العارفين فجاء ابنه ورأسه ملطخ بالدم وقال: أنكرت فاحشةً ففُعل بي هذا ، فقال: نرضيك ، ثم التفت إليّ وقال: ما الذي يستحقونه من العقوبة؟ فقلت له: أنت تعرف مقامك وما أنت فيه، فقال: والذي لا إله إلا هو ما أرد توبتهما والعفو عنهما إلا حيث فعل بولدي هذا ، وإن الذي أعلمه بيني وبين اللّه أن هذا اختياري[1] .

(١) المصدر السابق ص١٦٠ .

وجاء رجل إلى سيدي وشيخي إبراهيم فقال: يا سيدي إن فلاناً وفلاناً قطعا نخلك وضربا ولدك ، فقال سيدي: هؤلاء قـوم قـد أدبروا عن اللّه ، وفعلهم ذلك سبب لتوبتهم ، والفاعل هو اللّـه ، وأهل هذا المقام أهل سلامة ولا مكافأة عندهم لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وإذا قضى اللّه على أحدهم المصيبة في هذه الحياة رضـي بخالقها وعفا عن فاعلها ، كما أن مولاه أرادها ويتنعم ويتلذذ ـا حيث اختارها اللّه له ، فلا يشهدون أن المحرك والـمسكن إلا اللّه حتى تحصل العافية من أفعال الخلق وصفا م ، فما تعافى عبد ـذا المشهد، وهل يشهد الكون إلا شاهد المكون .

وليس الخواص كالعوام ، فلو وقع في قلب المريـد خطـرة في مكافأة مسيء بسوءٍ راح رأسه ، بل لو ذكر إساءته نـزع إيمانه ، ويتحقق كل منهم أن المخاطب بالأمر والنهي تثبت له المِنة من اللّه تعالى، وأما أنا فانشراحي وانبساطي في القبض أكثر من البسـط ، وأهل هذا المقام ساكنون مع اللّه ، ما لهم خـاطرة في نفـس ولا علـم ولا عمل ، ولا يرون الحياة وما فيها ، ولا الآخرة ونعيمها ،

إنما مطلبهم مولاهم ، فلما ظفروه نسوا ما سواه.. الكون وما فيه[1].

وصول الشيخ معروف إلى قرية بضة

قال المؤلف ص١٦٣: ثم إن سيدي رضي اللّه عنه سار بمن معه إلى قرية بضة فلقيه الشيخ الجليل عثمان بن أحمد العمودي ، وواجهه بالقبول التام والترحيب والإكرام ، وأنزله بالمحل العالي من التبجيل والإعظام ، واغتبط به وأسكنه ومن معه من الفقراء داراً وآخر لنسائه ، كما كانوا عليه في بلدهم ، وأجرى لهم معلوماً كافياً.

وكان الشيخ عثمان إذ ذاك قليل ذات اليد مشغول القلب من السلطان بدر ، فتضاعفت له الخيرات وتمت له البركات واتسعت له الولاية ، وحسنت له من اللّه الرعاية ، وسخر له الإمدادات الواسعة، ودان له أهل الولايات الشاسعة ، ووالاه السلطان بدر ببركاته نفع اللّه بيده.

---

(١) المصدر السابق ص١٦١ .

قال مؤلف « مواهب الرب الرؤوف » ص ١٦٩ : ومما سمعت منه من لفظه في أول زيارة إلى دوعن سنة ٩٦٧ في مجلسه العام بعد أن ذكر ما ينبغي للعبد من احتمال الأذى والدعاء لـ ـمن ظلـ ـمه والشفاعة له فقال: إني في كل ليلة أزور جميع الأموات وأهلل لميلة وأقرأ ختمة من القرآن العظيم وأهب ثـواب ذلـك لهـم، أبـدأُ بالـمعرِضِين وأهل الإيذاء قبل القرابة والـمحبين.

نموذج من مكاتبات الشيخ معروف

بسم اللّه الرحمن الرحيم . الحمد للّه رب العالـمين . وصلى اللّه على سيدنا محمد رسوله وعبده وعلى آله وصحبه وسلـم .

وبعد فيقول العبد الفقير إلى فضل اللّه تعالى خويدم المسلـ ـمين معروف بن عبداللّه جمال موذن اللّه يحفظه بما يحفظ به عباد اللّـه الصالحين ويعلـمه ما علـمه عباده المتقين ويؤيده بمـا أيـد بـه خواصه المقربين سيدنا وحبيبنا في اللّه الفقيه علي بن علي بايزيـد زاده اللّه علـماً وحلـماً وذوقاً وفهماً:

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته . وصل حرفكم وما ذكرتم من الخير الكثير ، والحظ الفائق الخطير ، حسبنا لكم ، وما أنا يا سيدي فإني منطو لكم خصوصا[1] ، ولجملة إخوانكم المسلـمين عموما ، على أفضل المحبة الخالصة والود الصادق والقرب الفائق والشـوق السابق ، وقلبي يشهد لي بما عندكم ، كما قال سـيدي الإمـام علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه:

إن القلـوب تجـازي في محبتـها
فاسـل ضميرك عـني فهـو يكفـيني
لا تسأل الناس عما في ضمائرهم
ما في ضميري لهم عـن ذاك يكفـيني

واعلـم أن الأرواح جنود مجندة ، ما تعـارف منـها في الأزل ائتلف في الدنيا على حول ، ونحن واللّه نحبكم أحب إلينـا مـن أنفسنا، لأنكم أهل الدين وقادة المسلـمين ، وقلوبنا لكم بالدعاء ذاكرة ، وعقولنا بشهودكم أبدا حاضرة .

---

(١) كذا في الأصل .

وذكرت أهديت إلينا الهدية الهنية والتحفة السنية ، فواللّه إن قلبي مستبشر وأنا واللّه أحب هدية للـمسلـمين أفدي نفسي وروحي ومالي وجهدي في أن يهدي اللّه واحدا فكيف أكثـر ، ولأولاد السادة صحبة أخرى خاصة، والـمنة للّه علي أن جعلني خادمـا. أوحى اللّه إلى داود.. يا داود.. من كان لي طالبا فكن له خادمـا أكتبك جهبذا شهيدا .

واللّه اللّه يا سيدي كن لنا في مثل هذا ، فنعم ما أهديته فجـزاك عنا أفضل الجزاء ، وأنتم شركاء فيما أهديتم، ولا تتركونـا مـن دعواتكم ا ابة ، وأشكو إلى اللّهِ المُدرِك ثم إليكم انعكاس الزمـان وتبدلَ الأديان وإظلام المكان عن ما دينه الديان وشرعه البرهـان ، وقد قال اللّه تعالى: لقد كان لكم في رسول اللّه أسوةٌ حسنةٌ ، وقال الشارع صلى اللّه عليه وسلـم: « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » .

وإنا لنعلـم عما جاءنا من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلـم أنه كان فقيراً عن الدنيا مسكينا محباً للـمساكين ، لا يبيـت وفي منـزله درهم ولا دينار، ونـزع شِراكاً جديداً من نعله ورد فيـه شراكاً خِلقاً وقال: «لا يشغلُني» إيثاراً للبرية ، وتركاً لحظوظ النفس

الزكية ، وتشريعاً لأمته لا تأخذه في اللّه لومة لائم ، لـم يغضب ولـم ينتصف لنفسه ، إنما كان غضبه إذا انتهكت حرمات اللّـه، لباسه الآداب « أدبني ربي فأحسن تأديبـي » وأساسه الأخلاق «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ، قال اللّه تعالى: وإنك لعلى خلُقٍ عظيمٍ ، وقال صلى اللّه عليه وسلـم: «ذهب حسـن الخُلُـق بخيري الدنيا والآخرة» .

ولـم يفتخر بغير الفقر ، وأبوبكر الصديق رضي اللّه عنه لـم يترك لنفسه شيئا من الدنيا ، وجملة أهل الصفة فقراء ، أهل الصفة وغيرهم. وكان يعفو عمن ظلـمه ويصل من قطعه ويحسن إلى من أساء إليه ، وكان أباً للمسلمين ورحمة للعالـمين ، شأنه الصـبر والعفو والحلـم والزهد والسخاءُ والكرم والورع والعفو والصدق والأمانةُ والـمروءةُ والديانةُ واللطف واللين والسـهالةُ والشـفقةُ والنصيحةُ والبذلُ والإيثار والإنصاف والـمواساةُ والوقار والعبادةُ والاجتهاد والشكر.

قال صلى اللّه عليه وسلـم: « قرة عيني في الصلاة » وقام حـتى انتفخت قدماه ، فقيل له: لِـم تفعلُ وقد غفر اللّه لك ما تقدم من

ذنبك وما تأخر؟ فقال: ألا أكون عبداً شكوراً؟ فاختـار الآخـرة الآجلة على الدنيا العاجلة.

عصب على بطنه الحجارةَ من الجوع ما يجد كفّا من دقل فيكتفي به، وفاطمة ابنته رضي اللّه عنها كان عليها كساء إن سترت أعلاها كشف أسفلها وإن سترت أسفلها كشف أعلاهـا ، وتخـدم في طحين الطعام حتى انتفخت يدها رضي اللّه عنها ، وعلي رضي اللّه عنه يستقي لها الماء حتى دمل كتفه ، كل ذلك من العدم ، فطلبا من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلـم خادماً يكفيهما ، فقال عليـه الصلاة والسلام: « لا أعجل لكما الأجر » ، وقال: دارنا الجنـة ، وعلـمهما تسبيحاً ، مع أنه صلى اللّه عليه وسلـم يملك غنـائم الكفار ويعطيها المؤلفة والـمسلـمين ويترك نفسـه وأزواجـه وأقاربه إيثارا للآخرة على الدنيا ، مع أنه -كما قال- لو أراد جبال الحجاز تسير معه ذهبا لفعل اللّه له ذلك .

ثم اقتدى به أصحابه الراشدون ومن بعدهم كالإمام الحق عمر بن عبدالعزيز ، كان وهو في خلافته قيمة كسائه خمسة دراهـم ، ثم

اقتدوا مسلك الموفقون بعدهم[1] ، حتى انتهى الأمر إلينا فـ انعكس علينا وثبت لدينا، وانكب الناس على طلب الدنيا ، واشتغلوا ـ ا عن اللّه، وآثروها على الآخرة ، وتركـوا الأخـلاق ، ونبـذوا الأعمال، وثارت بينهم الخصائم والبغضاء والجدال ، وكفاهم اللّه أمرالرزق، وضمن به ، فلـم يكتفوا بضمانه وطلبوه ، وأمـرهم بالعبادة والإقبال عليه فأعرضوا عنه ، فأين أهل العقل والدين ، قال اللّه تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .

فأعظم اللّه الأجر في دين اللّه واتباعه والاقتـداء بـه في حسـن شمائله، وتراهم مع ذلك أوقعوا أنفسهم في الورطة الهائلة والخبطـة السافلة، فلـم يجمدوا على عصيا م ، بل تجرؤوا حتى نالوا مـن سلفِ زما م: كان فلانٌ من الصحابة وفلانٌ من التابعين وفلانٌ من السادة أهل الدين كانوا يجمعون الأموال.

جعلوا نفوسهم الدنية وقلو م الخبيثة مثل نفوس أولئك الزكيـة وقلو م الطاهرة ، هل كان جمعهم لها كجمع أولئك وشغلهم ـ ا

---

(١) كذا في الأصل.

كشغل من هنالك؟ وقد قال صلى اللّه عليه وسلـم: « الـمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا» .

فاللّه اللّه فيما يطلب منكم يا أولاد ، الفرصة يا أولاد ، العزم هيا بكم إلى اللّه ، فما عليكم إلا توجهوا ونحن نكفيكم الدلجـة ، ولا يخفاك مطلوبنا منك ونحن نلاحظكم ونرعاكم في مكانكم ، فِـروا إلى اللّه ، وألف في اللّه ما أمكن[1] ، فإن الأمر عظـيم والشـأن خطير، ولا تستصعب فما واللّه حائل، وأقبل فلا واللّه تجد عائق ، واستسلـم فما واللّه تجد مشارك ، وافعل المصلحة في هذا الزمان ، وعرف أصحابك ذلك ، زادكم اللّه من فضله العظيم ، وما نحن إلا أنتم ، ما بيننا فارق ولا حجاب ، ولا يمكـن كشـف الحـال ، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته[2] .

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) المصدر السابق ص١٢٩ .

نهاية عمر الشيخ معروف باجمال

ورد في «مواهب الرب الرؤوف» حول انتقال الشيخ معـروف من دار الدنيا الفانية إلى دار البقاء الباقية ما صورته:

اعلـم أنه لـما أحياه اللّه سعيداً كمل له بنية الاقتداء فمـات غريبا شهيدا ، فلـم يفته بذلك شيء من التأسي بالـمصطفى صلى اللّه عليه وسلـم ، وقد ظهر منه بوفاتـه إشـارات وبـدا علامات وأمارات ، منها: أنه أمر أصحابه وخواص مريديه بزيارة سيدنا الشيخ القطب مولانا أبي بكر بن سالـم نفع اللّه بـه ، وفي الجهة جماعة من المشايخ المشهورين في تريم وغيرها ، ولـم يـأمر بزيارة أحد قبل ذلك ، بل ينهاهم عن التوجه إلى غيره، فعرفوا أن قصده بذلك النيابة .اهـ. أي: نيابة الشيخ أبي بكر من بعده.اهـ.

ومنها أنه جمع أصحابه وذاكرهم وقال: إن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلـم لـما علـم أن اللّه قد ملأ أصحابه يقيناً نعى نفسه النفيسة، والـمشايخ ما أحياهم اللّه إلا لانتفاع المنتسب إلـيهم ،

وأنا أعلـم أن أصحابي قد صح تعلقهم بالله ، وقد ملأهـم اللـه يقينا[1] .

واعلـموا أن ما أحد انشرح بوفاة السيد إبراهيم لأنه مات وهو راض عني وأنا عنه راض ، وقد رأيت كأن الدنيا كلها مظلـمة ، وأنا أريد الخروج منها ، فلـم أجد لتلـك الظلـ ـمة منتـهى ، فاسترجعت وإذا أنا بامرأة قالت: أَبشِر يا شـيخ فإنـه سـيأتيك الرسول صلى الله عليه وسلـم، فالسيد عبدالرحمن بن عمر باهرمز والسيد إبراهيم بن عبدالله باهرمز، ويخرجونك من هذه الظلـمة، وإذا م قد أقبلوا وأركبوني في فرس مسرجة ملجمة وأخرجوني من الظلـمة وأدخلوني بلدا وقالوا: هذه مصر. وإني أولتها أ ا النقلـة إلى الدار الآخرة .

ومنها: أخبرني الفقير الصالح أحمد بن بازياد قال: قال لي سـيدي الشيخ نفع الله به: يا أحمد تقوم القيامة ثالث يومك هذا ، فكانت وفاته رضي الله عنه في اليوم الثالث.

(١) المصدر السابق ص٢٣٦ .

وصيته لأصحابه يوم وفاته

قال المؤلف ص٢٣٨ : ثم ذاكر أصحابه وأوصى بوصايا نافعـة منها ما حفظ ومنها ما لـم يحفظ ، ومما رأيته بخط مـن حضـر وصيته ووفاته ما هذا صورته:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالـمين ، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآلـه وصحبه وسلـم أجمعين .

هذا ما أوصى ونصح سيدنا ومولانا قطـب الأقطـاب وفـرد الأحباب الوارث للولاية المحمدية الشيخ أبومحمد معروف بن عبداللّه مؤذن باجمال أفاض اللّه علينا وعلى جميع المسلـمين من أسـراره وأنواره آمين ، قال:

واعلـموا أنه لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له في ملكـه ، وأن محمداً عبده ورسوله صلى اللّه عليه وسلـم ، أوصيكم بتقوى اللّه، وأن اللّه قد اختار لي ولكم النقلة وأنتم رجال ، وقد وفقكم اللّـه للصحبة والإرادة واتباع الأمر ، ومن صلح مع اللّه نفع به الأمة .

انظروا إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه حيث وفقه اللّه ونبهه على الآية الكريمة وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبلـه الرسلُ.. الآية .

وأنتم تمسكوا بما معكم من عهد وميثاق ، ومن معه منكم وظيفة أو أصل يثبت عليه ، ومن سمع منا بشارة له أو لغيره فليصدق ا ، فإ ا حق من اللّه تعالى ، وأنا منتقل إلى الدار الآخرة ، فمن صدق أوصلناه وشملناه ، ومن لحق تلقيناه وأهلناه ، وقد شاهدنا لكم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فلا تنافسـوا على ما وقع للـمتقدمين ، فعندنا لكم أكبر وأغلى ، وأنتم عندي أفضل وأحب من على وجه الأرض ، وأنا راض عنكم.

وأوصيكم بالتخلق بأخلاق اللّه وأخلاق رسول اللّه صلى اللّـه عليه وسلـم ، قال تعالى: وإنك لعلى خلـق عظـيم لكـم ولأهلكم ولأهل «لا إله إلا اللّه» ، والـمرء مع من أحب وإن لـم يعمل بعمله.

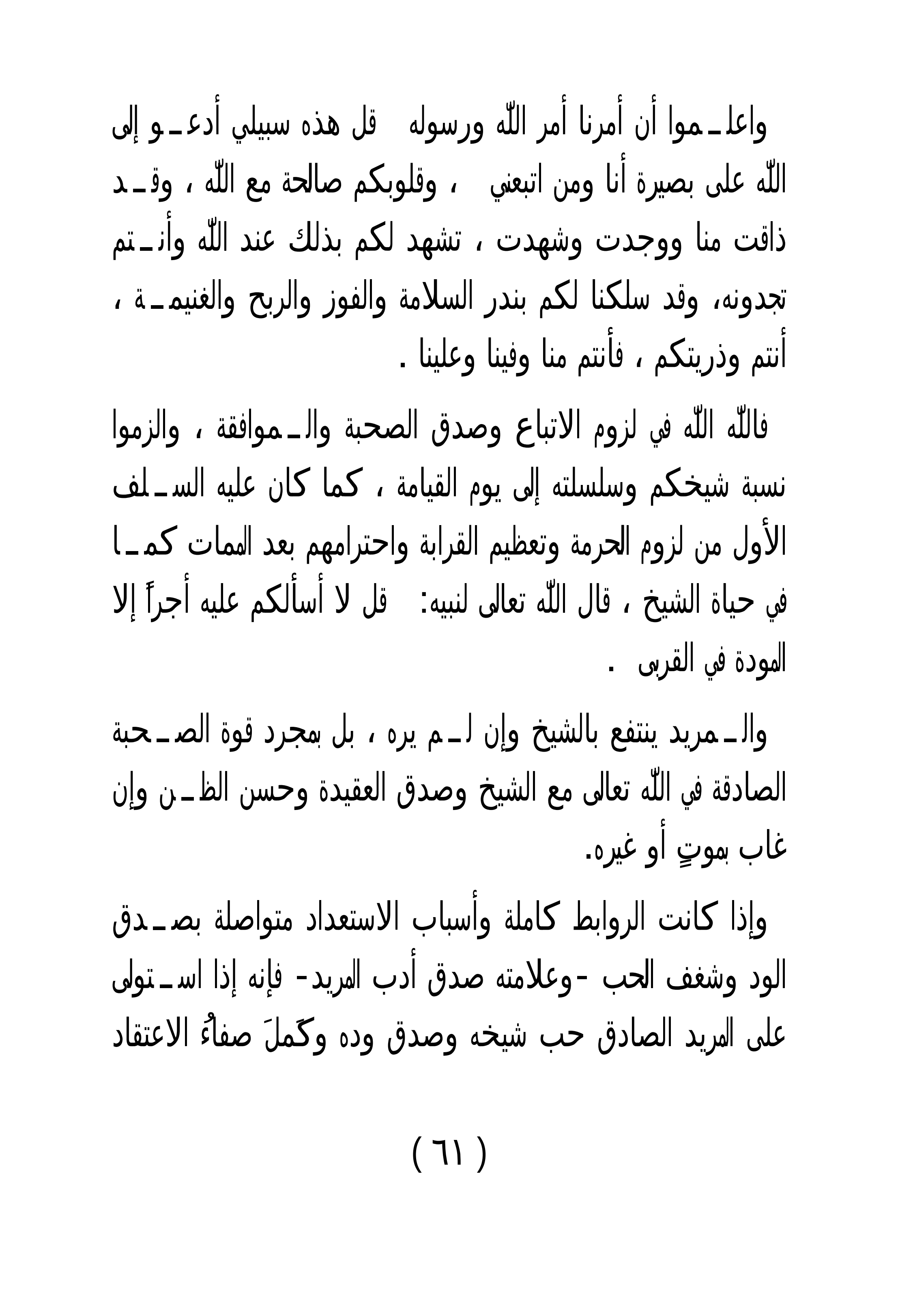
والآخرة هي دار القرار ، وأنا لكم بعد الموت أنفع وأظهر ، وإنما هي نقلة من دار إلى دار ، ونحن أحياء أكمل حياة من الحياة الدنيا.

واعلموا أن أمرنا أمر اللّه ورسوله قل هذه سبيلي أدعو إلى اللّه على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وقلوبكم صالحة مع اللّه ، وقد ذاقت منا ووجدت وشهدت ، تشهد لكم بذلك عند اللّه وأنتم تجدونه، وقد سلكنا لكم بندر السلامة والفوز والربح والغنيمة ، أنتم وذريتكم ، فأنتم منا وفينا وعلينا .

فاللّه اللّه في لزوم الاتباع وصدق الصحبة والموافقة ، والزموا نسبة شيخكم وسلسلته إلى يوم القيامة ، كما كان عليه السلف الأول من لزوم الحرمة وتعظيم القرابة واحترامهم بعد الممات كما في حياة الشيخ ، قال اللّه تعالى لنبيه: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى .

والمريد ينتفع بالشيخ وإن لم يره ، بل بمجرد قوة الصحبة الصادقة في اللّه تعالى مع الشيخ وصدق العقيدة وحسن الظن وإن غاب بموتٍ أو غيره.

وإذا كانت الروابط كاملة وأسباب الاستعداد متواصلة بصدق الود وشغف الحب -وعلامته صدق أدب المريد- فإنه إذا استولى على المريد الصادق حب شيخه وصدق وده وكَملَ صفاءُ الاعتقاد



فيه ؛ كان أقرب إلى النفع وأشمل في الرفع ، وأعظم سراية في التفرقة وأجمع .

فعليكم بالسكون والخضوع والتذلل والرضاء بمواقـع القضـاء والتردد فيما بينكم بالـمذاكرة ، مع انعدام الحسد ، ولا تشهدوا إلا اللّه يحصل المدد.

الوفاة

وكانت وفاته رضي اللّه عنه عند طلوع الشمس يـوم السـبت خامس عشر شهر صفر الخير سنة تسع وستين وتسعمئة ٩٦٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وعمره نحـو ست وسبعين سنة ، ودفن بمقبرة «ظرفون» ، وبنيت عليه قبة.

ومن عجائب الاتفاق أنّ كافةَ أولاده وزوجته وخواص أصحابه لحقوا به خلال أسبوع واحد إلا بنتاً واحدة بقيت حتى عام ٩٧٥ وكذا بعض أصحابه.

وذكر في « مواهب الرب الرؤوف » ص ٢٤٣ أنه كان يقول في حياته: أول من يلحقني بنتي فاطمة ، فتوفيت بعده في اليوم الذي مات فيه.

وكان لموت الشيخ معروف أثر عظيم على حضرموت ومناطق اليمن وغيرها من الجهات ، ورثاه جملة من الشعراء والخطباء ، ومن جملة مراثيه ما كتبه السلطان محمد بن علي بن عمر بن جعفر فقال :

هاج الفؤاد كواهج النيران   عند انتقال العارف الصمداني

يبكي عليه العارفون ولم يزل   وعليه تبكي السبع والثقلان

والأرض تندب والجبال نوائح   وصوالب الأشجار والأغصان

والريح من كل الجوانب زمزمت   وتجلجل الأنهار بالجريان

تاللّه ما دهم الأنام بمثلها   في سائر الأحقاب والأزمان

يا سيداً حاز الكمال بأسره   وعلا بنا الإسلام والإيمان

شيخ الحقيقة والطريقة والنهى   والداعي الهادي إلى الديان

شمس على فلك الولاية لم يزلْ   متحلياً في العالم الإنساني

أهدى جميع الطالبين إلى الهدى   وأبان علم غوامض الإحسان

والقصيدة طويلة ومتضمنة على جملة من مناقب الشيخ معروف ، ويمكن مراجعتها في الترجمة المخطوطة[1] .

(١) المصدر السابق ص٢٤٤-٢٤٦ .





الفهرس

